التربية التنموية

● د . عبد الرحمن محمد العيسوي ●

تعتمد معارك التنمية التي تخوض غمارها أمتنا العربية في الوقت الراهن اعتماداً كلياً على التربية ومؤسساتها . فلقد أدى التطور المتلاحق الذي يحدث من حولنا في كل دول العالم أن تصبح أمتنا العربية في سباق مع الزمن . ويضع التطور العالمي أمتنا في تحد ضخم يوجب عليها أن تسارع الخطى في سعيها للتقدم . وتلعب التربية دوراً رئيسياً في معركة التنمية .

التفاعل بين التربية والتنمية :

تعتبر التنمية ، في الوقت الحاضر ، مطمحاً لجميع المجتمعات العربية والإسلامية ، وذلك للقضاء على ما بها من تخلف ، وللاستفادة من منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثة ، وللارتفاع بمستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة(١) .

ويعتقد البعض أن التنمية تشكل الحل السحري لجميع مشكلات المجتمع . وعلى هذا الأساس ، قسمت المجتمعات إلى مجتمعات متقدمة نجحت في تحقيق خططها التنموية ومجتمعات متخلفة ، وأخرى نامية ، وهي التي تسعى لتحقيق ارتفاع مستوى المعيشة على أرضها .

ومؤدى هذا أن الفرق بين هذه المجتمعات يكمن في درجة التنمية ونوعيتها . ويخطىء من يعتقد بأن التنمية معادلة للنمو الاقتصادي ، ذلك لأن هناك مجتمعات ارتفع فيها متوسط دخل الفرد دون

أن يشارك الفرد في صنع الحياة . ومعنى هذا أن التنمية الحقيقية تظهر في إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع ، بشرط أن يشمل هذا جميع حاجات الفرد من الغذاء والسكن والصحة والتعليم والعمل ، وتحقيق الذات ، والمشاركة في تقرير المصير ، وحرية التعبير والتفكير ، والأمن والشعور بالكرامة والاعتزاز بالوطن(٢) .

ومن هنا يمكن اتخاذ التعريف التالي للتنمية :

« العملية المجتمعية الواعية الموجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي والاجتماعي ، تكون قادرة على تنمية طاقة إنتاجية مدعمة ذاتياً ، تؤدي إلى تحقيق زيادة منتظمة في متوسط الدخل الحقيقي للفرد على المدى المتطور وفي نفس الوقت ، تكون موجهة نحو تنمية علاقات اجتماعية وسياسية ، تكفل زيادة الارتباط بين المكافأة وبين كل من الجهد والإنتاجية ، كما تستهدف توفير الحاجات الأساسية للفرد وضمان حقه في المشاركة وتعميق متطلبات أمنه واستقراره في المدى الطويل »(٣)

إذا كانت المؤسسات الاجتماعية تلعب أدواراً مهمة في تحقيق العملية التنموية ، فإن التربية تحظى بدور مهم في تحقيق التنمية ، وضمان استمراريتها ، ولذلك فالتقدم التربوي يعد مؤشراً من المؤشرات الدالة على حصول التنمية ، وعلى اعتبار أن حاجة الشعب إلى العلم تعتبر من الحاجات الأساسية والمتزايدة ، والتي يقع على التربية عبء إشباعها .

ويحدد البعض الدور الذي يمكن للتربية أن تقوم به حيال العمليات الإنمائية ، في نشر العلم بحده الأدنى بين أكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع ، والإسهام في تعديل قيم الناس واتجاهاتهم وطموحاتهم ، ومن ذلك الإيمان بالعمل كقيمة ، والإيمان بجدوى غزارة الإنتاج وتحسينه ، وتكوين العادات الإيجابية في التفكير ، والتحلي بالموضوعية والدقة ، ونبذ التواكل والسلبية ، والنزعات الاستهلاكية ، وإنتهاج المنهج العلمي القائم على أساس الملاحظة والتجربة والتحليل والتطبيق والنقد والمقارنة والتركيب والتمييز والتعميم(٤) . وإلى جانب هذا الدور ، على التربية أن تعمل على تأهيل القوى البشرية وإعدادها وتدريبها للعمل في جميع القطاعات ، على أن يتمشى هذا الإعداد مع الحاجات الأساسية والمتغيرة للمجتمع من القوى البشرية ، مع إعطاء الأهمية الكبرى لإعداد الأيدي العاملة المدربة والماهرة والتي يعاني المجتمع نقصاً شديداً فيها .

وإذا كانت التربية تؤثر في التنمية وتمدها بالعناصر البشرية الصالحة للقيام بمشاريع الإصلاح والعمران والتطور ، فإن التنمية ، بدورها ، تؤثر في التربية . فلا شك أن تطوير المجتمع وتقدمه ورخائه ونموه يؤثر في التربية ، ويساعدها في التمكن من أداء رسالتها . فالتطور الأساسي والاجتماعي والاقتصادي يؤثر في عمليات التربية . وعلى هذا فإن العلاقة القائمة بين التربية والتنمية هي علاقة تفاعل أي أخذ وعطاء ، وتأثير متبادل ، فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر ، بل لابد لنا ، في هذه المرحلة ، من أن يكون للتربية ، في بلادنا ، دور قيادي(٥) في حركة الإصلاح والتطور والتنوير والتنمية .

أهمية التربية في عصور التنمية :

لا شك أن التربية من أهم المؤسسات الاجتماعية ، ذلك لأن التربية ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية ، لأنها منهج يحول الكائن البشري إلى كائن إنساني كامل ، وعن طريقها يتأتى للمجتمع تعبيد سبيل الحياة التي يحياها . ولما كانت المدرسة هي المؤسسة التي أوجدها المجتمع لتقوم بتربية النشء الصغير ، فإنها ، تحقيقاً لهذه الغاية ، تختار من الخبرات العديدة التي توجد في المجتمع وفي حياة الأفراد الذين يكونون هذا المجتمع ، ما يتناسب مع تحقيق أهدافها . وهذا الاختيار والتفضيل عملية أخلاقية ، في أساسها ، إنها أعمق عمليات النشاط الإنساني ، إذ ليس هناك عملية أخرى تضاهي في أخلاقياتها عملية تربية الأجيال .(٦) .

وتتمكن التربية في أداء رسالتها على أساس الثقة في مرونة الكائن البشري الإنساني وقابليته للتغير ، وإمكانية التحكم في نشاطه في ضوء القيم والغايات الاجتماعية المرغوب فيها .

ولقد كانت التربية ، في الماضي ، تركز الاهتمام على المادة الدراسية ، ولكن التربية الحديثة تهتم بالاتجاهات النفسية للمتعلم ، والتفاعل السوي بينه وبين المادة العلمية . ولقد شهدت شبه الجزيرة العربية أعظم حركة تنوير علمي عرفها التاريخ حين شهدت مكة المكرمة فجر النبوة ، وسطع فيها النور المحمدي ، الذي يمثل أكبر انطلاقة فكرية في وقت كان العالم كله يرزح فيه تحت ظلمة حالكة من الجهل والتدهور الحضاري(٧) .

وفي العصر الحديث ، شهدت المملكة العربية السعودية نهضة علمية شامخة حيث بلغ عدد الجامعات بها سبع جامعات ، إلى جانب الرئاسة العامة لتعليم البنات ، وهذه الجامعات هي :

١ ـ جامعة الملك سعود .
٢ ـ الجامعة الإسلامية .
٣ ـ جامعة الملك فهد للبترول والمعادن .
٤ ـ جامعة الملك عبد العزيز .
٥ ـ جامعة أم القرى .
٦ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٧ ـ جامعة الملك فيصل .

إلى جانب المعاهد الفنية والصحية ومراكز التدريب والمدارس الثانوية المهنية والصناعية والتجارية والزراعية ، ومراكز التدريب المهني والتكنولوجي(٨) .

ويمتاز التعليم في المجتمع السعودي بمزايا خاصة ، أبرزها الاهتمام بالجانب الديني والأخلاقي اهتماماً كبيراً ، وكذلك الاهتمام باللغة العربية ، مع الاهتمام بالمعارف العلمية والنظرية المعاصرة . علاوة على الاهتمام بإعداد المعلم ، والكتاب المدرسي الجيد ، وتطوير المناهج الدراسية ، وتوفير الوسائل المعينة على التدريس ، وكذلك المكتبات والمعامل والمختبرات مع الاهتمام بتعليم الفتاة ، وبالتعليم الخاص ، بالصم والبكم ، وضعاف العقول ، والمكفوفين . ومازال أمام المملكة الكثير في ميدان النهضة العلمية .

مبادئ تربية التنمية :

لكل عصر من العصور نوع التربية أو النمط التربوي الذي يصلح له ، فالتربية في العصر اليوناني غيرها في العصر الروماني ، والتربية في العصور الوسطى غيرها في العصر الحديث . ذلك لأن التربية إن هي إلا وسيلة مهمة من وسائل تحقيق أهداف المجتمع ، وعلى ذلك فالتربية تختلف ، في أهدافها ومضمونها ومحتواها ومنهجها ، باختلاف الزمان والمكان . ولاشك أن التربية هي التي تقوم على إعداد الفرد الصالح للمعيشة في مجتمع معين . وينطبق هذا على جميع الفلسفات التربوية ما عدا التربية الإسلامية ، ذلك لأن هذه الفلسفات من صنع البشر ، أما التربية الإسلامية فتستمد أصولها ومقوماتها ومنابعها من أقوال الخالق العظيم ، خالق البشر ، ومن سنة نبيه الكريم . ولذلك كانت التربية الإسلامية دون سواها من المذاهب التربوية ، صالحة لكل زمان ومكان ، لأنها أعلم بطبيعة البشر ودوافعهم ونوازعهم ، ولأنها تعتمد على الجوانب الإيمانية والروحية والخلقية ، وهي أسمى ما يوجد في الإنسان .

وإذا كانت التربية الصالحة تستهدف ، فيما تستهدف ، سد احتياجات المجتمع والوفاء بمطالب خططه التنموية ومشاريعه الإصلاحية ، من المتخصصين والمهرة في كافة المجالات ، فإن حركة التنمية التي تشهدها أمتنا الإسلامية ، في الوقت الحاضر ، تتطلب أن نعيد النظر في أنظمتنا التربوية من حيث محتواها ومناهجها وأهدافها وطرق التدريس فيها ، ووسائلها في تقويم أعمال التلاميذ ، ونظمها في القبول وتوزيع التلاميذ على أنواع التعليم المختلفة وفي أنماطها الإدارية والإشرافية وفي مصادر تمويلها وما إلى ذلك من العوامل التي تؤثر في العملية التعليمية وتجعلها أكثر فاعلية وأكثر قدرة على الوفاء بمطالب خطط التنمية ومشاريعها .

والجدير بالذكر أن التربية من أهم وسائل التنمية ، لأنها تمدها بأغلى وأهم عناصرها ، وأعني به العنصر الإنساني البشري . وليست تنمية الإنسان المسلم وسيلة وحسب لدوره الفعال في معركة التنمية ، وإنما تنمية الإنسان المسلم إنما هي غاية في حد ذاتها ، لأن الواجب الإسلامي يقتضي منا أن نكرس الجهود لغرس قيم الحق والخير والصلاح والتقوى والورع في حس المواطن المسلم وعقله ووجدانه ، وأن نغرس فيه الإيمان الصادق المقترن بالعمل الصالح . وعلى ذلك فيمكن اقتراح المبادئ الآتية لتكون الأساس للتربية الصالحة لعصر التنمية .

مبادئ التربية التنموية أو الإنمائية :

١ ـ لابد من الاهتمام بالطفل ونموه الجسمي والعقلي والخلقي والاجتماعي ومن ذلك العمل على صقل مواهبه وتنمية ذكائه .

٢ ـ ويتطلب إعداد المعلم المسلم أن يلم إلماماً علمياً بالظروف النفسية للطفل ، وأن يعرف حاجاته ودوافعه وقدراته ، ومستوى ذكائه والمشاكل التي يعاني منها .. إلخ . ولا يكفي أن يكون ملماً بالمادة العلمية ، بل لابد من الإلمام بعلم نفس الطفل أو علم نفس النمو .

٣ ـ لابد من احترام شخصية الطفل وإشعاره بالأمن والأمان والطمأنينة ، وبث الثقة في نفسه ، وتمكينه من التعبير عن ذاته بمختلف أنواع التعبير ، وذلك حتى لا تكبت مشاعر الطفل ، وتصاب شخصيته بالضعف والوهن ، بل لابد من إتاحة الفرصة أمام الطفل لتنمية إرادته الحرة . ومن هنا فلا يفرض عليه المعلم إرادته هو ، ذلك لأن لكل جيل عصره وظروفه ومطالبه ، ولذا كانت ضرورة الاهتمام بتوفير فرص التعبير الحر أمام الطلاب ، في ظل التربية الإنمائية المنشودة ، من خلال الرسم والأشغال واللعب والرحلات والجمعيات الطلابية . ولا يفهم من هذه الدعوة الحرية المطلقة ، بل الحرية في ضوء احترام النظام والقانون والخضوع للإشراف والتوجيه والوعظ والإرشاد أي الحرية المقيدة بالصالح العام وبالقانون .

٤ ـ لا بد وأن تعتمد التربية الإنمائية على تشجيع النشاط الذاتي للطلاب ، من خلال التجربة والممارسة سواء في مجالات العمل أو اللعب .

٥ ـ يجب أن تصبح المدرسة ، في ظل عصر التنمية ، صورة صادقة من الحياة خارج جدرانها ، وعلى ذلك تتيح لتلاميذها فرص التعلم والاكتساب ، عن طريق الخبرة الشخصية ، وتشجيع التلميذ على الاعتماد على نفسه في تحصيل العلم والمعرفة وفي نماء شخصيته .

٦ ـ يجب أن تقوم الحياة المدرسية على أساس تنمية روح التعاون مع الجماعة ، وذلك عن طريق تشجيع النشاط التعاوني بين الطلاب ، وبينهم وبين الإدارة المدرسية .

٧ ـ يجب أن يسود المدرسة الجو الاجتماعي الصالح بحيث يسود العلاقة بين التلميذ وزملائه روح الاحترام المتبادل ، والأخذ والعطاء ، ومعرفة الحقوق والواجبات ، والالتزام بالقوانين واللوائح ، وذلك من خلال نشاط الجمعيات والأندية كجماعة الكشافة والجوالة .

٨ ـ يجب أن تهتم المدرسة بالصحة الجسمية والعقلية لتلاميذها . وهنا يلزم توفير فرص التدريبات والتمرينات ، كما يلزم توفير الغذاء وأساليب العلاج والوقاية ، كما يلزم تحرير الطفل مما قد يصيبه من العقد والأمراض النفسية .

٩ ـ ينبغي أن يتحقق التعاون الكامل بين الأسرة المسلمة والمدرسة المسلمة في تربية الطفل وحل مشاكله أولاً بأول(٩) استرشاداً بمبادئ إسلامنا الحنيف .

١٠ ـ يجب أن يكون من بين وظائف المدرسة الحديثة نقل التراث الإسلامي ، وكافة مظاهر الحضارة الإسلامية للأجيال الصاعدة ، ذلك لأن من لا ماضي له فلا حاضر له . وعلى المدرسة أن تتوخى في هذا النقل الأمانة والصدق . وإلى جانب هذا التراث عليها أن تعمل على تعريف الطلاب بالعناصر الصالحة فقط من التراث العلمي والتقني للعصر الحديث ، حتى يمكن الاستفادة من علوم هذا العصر ومنجزاته ، والاستفادة من خبرات الأجيال السابقة إذ لا يمكن الاعتماد على الخبرة المباشرة في جميع مظاهر حياتنا الصناعية والزراعية والطبية والثقافية وما إلى ذلك . ومن وظائف المدرسة حفظ التراث وتطويره إلى الأحسن دائماً(١٠) .

١١ ـ لما كانت التنمية عبارة عن حركة نحو التقدم بمظاهر الحياة في المجتمع ، فإن المدرسة اللازمة لهذا المجتمع هي « المدرسة التقدمية » وهي التي تعد البيئة المناسبة ، وتعتمد على نشاط التلميذ وتوفر له المشكلات التي تستثير ذكاءه لحلها وتقوم المدرسة بتشجيعه وتوجيهه نحو الأصلح .

١٢ ـ وعلى المدرسة ، الصالحة لمجتمع التنمية ، أن تحتفظ بالتراث ، وأن تسجل المنجزات الجديدة حتى يكون التراث الحضاري المتراكم تحت يد الأجيال القادمة للاستفادة منه .

١٣ ـ ومن مهام المدرسة ، المنشودة ، تبسيط الحقائق وعرضها للتلاميذ بالتدريج ، لأن الحضارة العلمية عبارة عن كل مركب ومعقد ، ولابد من تبسيطه حتى يتمكن التلميذ من فهمه واستيعابه . ومن هنا يلزم أن تعمل على تفهيم النشء النظم والقواعد والقوانين والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع .

١٤ ـ على الرغم من أن مجتمع المدرسة ينبغي أن يحاكي المجتمع الخارجي ليسهل على الطلاب التكيف معه فيما بعد ، إلا أن المدرسة لا تنقل التراث كما هو بل عليها أن تغربله وتعمل على تنقيته من الشوائب ومن الخرافات والأباطيل ومن المفاسد الأخلاقية ومظاهر الشعوذة والتأخر ليكون الطالب ، فيما بعد ، عوناً للمجتمع في مقاومة هذه الأباطيل وتلك الخرافات والتقاليد الفاسدة ، ويعمل على انتشار العادات الطيبة التي تشربها في المدرسة . ولذلك يراعى القواعد الصحية ويسير وفقاً للنهج التعاوني . ومن هنا كانت « المدرسة التنموية » وسيلة في تخليص المجتمع من العيوب وإذكاء المحاسن والفضائل .

١٥ ـ من مهام المدرسة ، المنشودة ، إيجاد التقارب الفكري والثقافي بين طلابها . فالمدرسة تستقبل طلابها ولكل منهم ثقافته وعاداته الخاصة ، وعلى المدرسة أن تحقق التوحد والتجانس الفكري بين طلابها .

١٦ ـ وتحقيقاً لهذه الوحدة الفكرية والثقافية ، يتعين توحيد المناهج الدراسية في البلاد الإسلامية

لتكون المدرسة أداة وصل واتصال وانسجام ووئام وتجانس واتحاد ، لتكون أداة المجتمع في القضاء على النزعات الطائفية والجماعات المنطوية ، أو المنعزلة ، فيشعر الطلاب بوحدة الأصل ، والمصير المشترك ، ووحدة الآلام والآمال ، والتاريخ المشترك .

١٧ ـ لما كانت التنمية تعتمد على سواعد قوية وعقول ناضجة ، فإن الصحة المدرسية عليها واجب مهم وهو المحافظة على صحة التلاميذ . وقاية وعلاجاً ، ونشر الوعي الصحي بينهم ، ذلك لأن العقل السليم في الجسم السليم .

١٨ ـ تعمل المدرسة على تنمية روح الإيثار وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

١٩ ـ على المدرسة أن تحرص على تنمية سمات المواطن الصالح في طلابها ، وهو المواطن المؤمن بربه وعقيدته الإسلامية السمحة ، والذي يتحمل المسؤولية ، ويرغب في التضحية ، ويؤدي ما عليه من واجبات ، ويؤمن بالفضيلة قولاً وفعلاً .

٢٠ ـ ولكي تقوم المدرسة بواجبها نحو التنمية ينبغي أن تكون هي نفسها بيئة مشبعة بالعواطف والمشاعر والخصال الحميدة ، والتفاهم بين الطلاب والإدارة(١١) .

٢١ ـ يجب أن توثق المدرسة من علاقتها ومظاهر تعاونها مع البيت ، بحيث تسهم في علاج ما يوجد في البيت من مشكلات .

٢٢ ـ يجب أن تفتح المدرسة ذراعيها وأبوابها على مصارعها للبيئة المحلية ، بحيث يستفيد أبناء المجتمع المحلي مما بها من أجهزة ومعدات ومعامل ومختبرات وورش وكتب ومكتبات ، وبحيث تصبح المدرسة بحق ، مصدراً للإشعاع الثقافي والتنوير الحضاري في المجتمع الذي توجد به .

٢٣ ـ عليها أن تستقدم الخبراء ورجال الاختصاص بالمنطقة لكي يتحدثوا إلى طلابها ، كل في مجال تخصصه ، كما يخرج معلموها إلى البيئة الخارجية لإلقاء الدروس أو المحاضرات أو إعطاء التمارين والتدريبات(١٢) .

٢٤ ـ يجب أن تعدل المدرسة من طرائقها في التدريس ، بحيث يتضح في ذهن الطلاب الغرض من كل ما يتعلمونه ، وبحيث يصبح له وظيفة في حياتهم وفي حياة المجتمع .

٢٥ ـ يجب أن تنقى المدرسة وتغربل مناهجها وتخلصها مما بها من الحشو الزائد والمعلومات عديمة النفع مع الاهتمام بتعليم الطالب كيف يتعلم ، فالمادة العلمية ليست هدفاً في ذاتها ، وإنما المهم هو تنمية قدرات الطلاب وصقل مواهبهم وتعديل اتجاهاتهم .

٢٦ ـ على المدرسة ، التنموية ، أن تؤمن قولاً وفعلاً ، بوجود الفروق الفردية بين طلابها . والحقيقة أنه لا يوجد شخصان يتشابهان تماماً . فالطلاب ليسوا نسخة واحدة ، ولا صورة واحدة ، وإنما هم يختلفون في كم وكيف ما يمتلكون من الذكاء والقدرات والاستعدادات والميول والمهارات والسمات

والأهداف والظروف ، وعلى ذلك يجب أن تتنوع المناهج الدراسية في مستوى صعوبتها ، وأن ينوع المعلم من طرائق تدريسه .

٢٧ ـ إن مدرسة تعمل في مجتمع يسعى للنمو ، لابد وأن تؤمن بقيمة الوقت ، وبمبدأ قصر الحياة ، وعلى ذلك تساعد طلابها على الاستثار الأمثل لوقتهم ، وأن تنتقي العناصر الصالحة من المعارف والمعلومات المتراكمة ، فتعليم الطالب لا يمكن أن يتناول كل شيء ، وإنما لابد أن يكون انتقائيا .

٢٩ ـ لما كانت عمليات التنمية تعتمد على تطبيق الحقائق والنظريات العلمية ومكتشفات العلم ومنجزاته ، فإن المدرسة مدعوة لتدريب طلابها على تطبيق هذه المعارف .

٢٩ ـ وحيث أن العمليات التنموية ، في جوهرها ، إن هي إلا تصدياً لمشاكل كبرى تواجه المجتمع ، وعلى ذلك فينبغي أن تنمي المدرسة في تلاميذها القدرة على حل المشاكل ، وفقاً للأسلوب العلمي(١٣) .

ولقد حدد جون ديوي المشكلة « بأنها حيرة وشك وتردد تتطلب بحثاً أو عملاً يجري لاستكشاف الحقائق التي تساعد على الوصول إلى الحل(١٤) » .

ويحدد جون ديوي في كتابه « كيف نفكر » الخطوات التي يمر بها الفرد حين تجابهه مشكلة ما يعكف على حلها :

١ ـ الشعور بالمشكلة أي شعوره بوجود مشكلة أمامه .
٢ ـ تحديد المشكلة ، أي وصفها وتحديد معالمها والتعرف على ماهيتها .
٣ ـ افتراض الحلول المحتملة ، أي وضع الحلول المبدئية التي يحتمل أن تكون حلولاً نهائية .
٤ ـ اختبار صحة هذه الفروض ، وذلك عن طريق جمع الأدلة والبراهين .
٥ ـ إصدار الحكم أو اتخاذ القرار .

وتعتمد التربية الجيدة على الاستعانة بوسائل الإيضاح السمعية والبصرية ومنها :

أولاً :

١ ـ ذوات الأشياء المراد توضيحها حية أو محنطة .
٢ ـ نماذج الأشياء .
٣ ـ الصور الشمسية أو الجغرافية أو غيرها .
٤ ـ رسوم الأشياء أو رسوم بعض أجزائها .
٥ ـ الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية .
٦ ـ الشرائـح .
٧ ـ الدوائر التليفزيونية .

ثانياً : وسائل إيضاح متعلقة بالشرح وتشمل :

١ ـ القصـص .
٢ ـ الشـرح .
٣ ـ التجارب العملية .

ثالثاً : وسائل إيضاح تخرج عن نطاق المدرسة وهذه تشمل :

١ ـ الرحلات المدرسية .
٢ ـ السينما .
٣ ـ الإذاعة اللاسلكية(١٥) .

٣٠ ـ تهتم « تربية التنمية » بصقل قدرات الإنسان ، وتنمية قدراته العقلية والجسمية ، ومهاراته ، واستعداداته ، وميوله ، وسماته ، وخصاله الطيبة . وعلى ذلك تزداد كفاءته الإنتاجية ، وفاعليته ، وإسهامه ، ومشاركته في حياة المجتمع ، ويزداد عطاؤه ، سواء كان في شكل خدمات أو سلع أو إدارة وإشراف ، وتخطيط وتصميم وابتكار .

٣١ ـ الإيمان بقيمة العمل كواجب وكحق وكهواية نافعة ، ومن ثم حب العمل ، ونبذ الكسل والتراخي والاتكالية والاعتماد على الغير ، واحترام العمل ، مهما كان نوعه ، وتقديره وممارسته بإخلاص وإتقان .

٣٢ ـ على التربية أن تحسن تنمية الهوايات النافعة في أبنائها بما يضيف إلى الخير العام ، كتربية النحل ، أو دودة القز ، أو تربية الأسماك والطيور والدواجن أو زراعة البساتين والزهور أو حب القراءة والاطلاع والرحلات أو أشغال الأبرة والحياكة ... إلخ .

٣٣ ـ الاهتمام بالتعليم المهني الزراعي والصناعي والتجاري ، وتطوير مناهجه بحيث تتناول المهن الحديثة ، واستخدام التكنولوجيا والآلات الحديثة ، والاهتمام بالصناعات الدقيقة ، والوظائف الجديدة في المجتمع كالالكترونيات والأجهزة الحاسبة وما إلى ذلك .

٣٤ ـ تشجيع الأجيال الصاعدة على الانخراط في الأعمال اليدوية والحرفية ، وعدم احتقارها ، وغرس الاعتقاد بأنها لا تقل قدراً ولا شرفاً عن الأعمال المكتبية أو الذهنية . ويتطلب ذلك أن تتوسع التربية في إعداد العمال والصناع المهرة ، وتهتم في إعدادهم برفع مستواهم الثقافي والمعرفي ، إلى جانب تزويدهم بالمهارات الحرفية الدقيقة ، حتى لا يشعروا بفقدان الثقة بالذات أو النقص والدونية .

٣٥ ـ على التربية أن تشجع أبناءها على العمل في المشاريع الإنتاجية والعمرانية مهما كانت بعيدة عن العمران ، وأن تحبب إلى نفوسهم العمل بالصحارى ، وفي المناطق النائية وفي المجتمعات الجديدة .

٣٦ ـ يجب أن تقوم المؤسسات التعليمية بتعريف تلاميذها بخطط التنمية ومشاريعها ، وأن تغرس فيهم الإيمان بجدوى هذه المشاريع ، وتقدير الجهود المبذولة فيها ، ومن ثم دعوتهم للاشتراك فيها .

٣٧ ـ يجب أن تربي المدرسة أبناءها على الحياة الجادة وتحمل المسؤولية ، وذلك لأن خطط التنمية تحتاج إلى النمط الجاد من الشباب .

٣٨ ـ لما كانت مشاريع التنمية تعتمد على المنهج العلمي ، فإن المدرسة مدعوة لتدعيم الاتجاه العلمي في أذهان طلابها ، والتمرس على ممارسة الأسلوب العلمي في تفكيرهم ، ومختلف ألوان نشاطهم ، وبذلك ينبذون كل ألوان الخرافة ورواسب الشعوذة مع الالتزام بالحقائق العلمية والموضوعية .

٣٩ ـ لما كان المال أحد مقومات الخطط التنموية ، ولذلك فإن المدرسة مدعوة لكي تربي أبناءها على حب الادخار والاقتصاد في النفقات ، واستثمار ما لديهم من أموال ، أو ما سيكون في أيديهم من أموال من المشاريع العمرانية والإنتاجية ، مهما كانت هذه المشاريع بسيطة ، فإن لها قيمتها في ارتفاع الدخل الوطني . وعلى ذلك يتعلم الطالب ألا ينفق ماله إلا فيما هو ضروري ونافع ، وأن يلتزم الاعتدال والتوسط .

٤٠ ـ يتوقف الرخاء الاقتصادي والرفاهة الاجتماعية على وفرة الإنتاج وتحسين جودته ، وعلى ذلك ، فإن المدرسة الإسلامية المنشودة يتعين عليها أن تنمي في طلابها حب إتقان العمل والتفاني فيه ، وتحسين مستوى جودته باستمرار ، بحيث تقوى منتجاتنا على المنافسة في الأسواق العالمية .

٤١ ـ يجب أن تجعل المدرسة التلميذ شخصاً منتجاً أكثر من كونه مستهلكاً ، ومعنى ذلك أن يزيد إنتاجه عن استهلاكه ، ومؤدى ذلك أن تعمل على ترشيد استهلاك الطلاب من السلع والخدمات وترشيد الطاقات .

٤٢ ـ يجب أن تحسن المدرسة استغلال أوقات الفراغ لدى طلابها ، بحيث يستفيدون منه في صقل مواهبهم ، وتنمية قدراتهم ومعارفهم ، أو في دخلهم وتحسين مستوى أسرهم .

٤٣ ـ لابد من تربية الفرد على الإيجابية ونبذ السلبية ، لأن مشاريع التنمية لا يمكن أن تؤتي ثمارها إذا وقف الناس موقف المتفرج حيالها .

٤٤ ـ يجب أن تغرس فيهم الشعور القوي بالانتماء للمجتمع ، لما لهذا الشعور من أهمية في دفع الفرد نحو الإتيان بكل ما يؤدي إلى سعادة المجتمع ورخائه وازدهاره ورفاهته .

٤٥ ـ لما كانت مشاريع التنمية تعتمد اعتماداً كلياً على القيم الخلقية وعلى ضمائر القائمين على تنفيذها ، فإن المدرسة الإسلامية مدعوة للاهتمام بالتربية الأخلاقية لطلابها ، وغرس قيم الفضيلة والعفة والنزاهة والأمانة والصدق والوفاء والإخلاص والشعور بالواجب ... وما إلى ذلك من القيم الأصيلة التي يزخر بها إسلامنا الحنيف .

٤٦ ـ يجب أن تحرص المناهج الدراسية على إبراز ما يوجد في باطن أرضنا من خيرات ، وما يوجد في مياهنا من أسماك ، وتعريف الطلاب بالمجالات الجديدة التي يمكن استغلالها واستثارها ، ويتطلب ذلك العناية بالمناهج الجغرافية والموارد الزراعية والمعدنية والسياحية ، والمجالات التي يمكن إقامة المشاريع الجديدة فيها ، حتى يكون للمواطن العادي نصيب في القيام بمثل هذه المشاريع .

٤٧ ـ يجب أن تحيط المدرسة تلاميذها علماً بأساليب زيادة الإنتاج التي يمكن أن تتم على المستوى الرأسي وتلك التي تتم على المستوى الأفقي ، وذلك لتنمية الوعي التنموي في عقولهم وتعريفهم بأساليب التنمية ومتطلباتها وعناصرها .

٤٨ ـ عدم احتقار الأعمال اليدوية كما كانت تذهب إلى ذلك المدرسة الأفلاطونية التي كانت تعتبر العمل اليدوي من اختصاص العبيد وحدهم ، أما « السادة » فيعملون في الأعمال العقلية(١٦) .

٤٩ ـ لابد من الاهتمام بضعاف العقول وإعدادهم وتأهيلهم للاستفادة منهم في مجالات العمل المختلفة بدلاً من أن يظلوا عالة على المجتمع وعلى أسرهم .

٥٠ ـ ضرورة الاهتمام بالعلوم الإنسانية ، بإدخالها ضمن مقررات الدراسة بالمعاهد والكليات العلمية والصناعية ، لتخريج المواطن الماهر والمثقف أيضاً .

٥١ ـ يجب أن توائم المؤسسات التعليمية مناهجها مع ظروف البيئات المحلية .

٥٢ ـ ضرورة العمل على محو أمية من تخلفوا عن ركب التعليم من الإناث والذكور .

٥٣ ـ يجب أن تدرب المدرسة طلابها على كبح جماح الذات والسيطرة عليها .

٥٤ ـ يجب أن تهتم المدرسة اهتماماً كبيراً بتنمية القيم الخلقية لدى طلابها .

٥٥ ـ على المدرسة أن توفر لطلابها القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدون به .

٥٦ ـ لا ينبغي أن تمارس المدرسة أي لون من ألوان العقاب البدني على تلاميذها .

٥٧ ـ يتعين على المدرسة أن تنمي روح الجماعة في نفوس طلابها .

٥٨ ـ يجب أن تتناسب المادة الدراسية ، في كمها وكيفها ، مع المستوى الذهني للطالب .

٥٩ ـ يجب أن تعمل المدرسة على تنمية الشعور الجمالي بين طلابها واستحسان المظاهر الجمالية .

٦٠ ـ يجب أن تعمل المدرسة على تنمية النشاط الابتكاري عند الطلاب .

٦١ ـ ينبغي أن تكون عملية تقويم أعمال الطلاب مستمرة ومتصلة ، وأن تعتمد على الأساليب الموضوعية في القياس ، وأن تبتعد عن أساليب الامتحانات التقليدية ، حتى تتمكن من تقدير جهود الطالب تقديراً عادلاً .

٦٢ ـ ينبغي أن يتحقق مبدأ تكافؤ الفرص أمام جميع الطلاب في المجالات التعليمية والمهنية .

الاهتمام بالبحث العلمي :

لا شك أننا في عصر الاعتماد على العلم والبحث العلمي في تطوير المجتمعات « في هذه المرحلة من تطور العلم والصناعة والآلة ، يجأر مطلب أساسي غدا في نظر العلماء والباحثين وسائر قادة المجتمع المعبّر العميق عن روح العصر ومستلزماته ، نعني به البحث العلمي . وغني عن القول أن هذا البحث العلمي الدائب يأخذ اليوم أبعاداً واسعة في ميدان التقدم التقني في شتى مجالات الحياة الاقتصادية ، من زراعية وصناعية وتجارية ، وإذا كان التطور التقني هو السمة المميزة لعصرنا ، بل هو أداة التقدم ومعياره ، ومقياس النمو الاقتصادي والاجتماعي في أي بلد ، فلابد أن نضيف إلى ذلك أن البحث العلمي هو محرك هذا التطور وباعثه ورائد خطواته ، وهو الذي يستخلص منه أقصى مداه ويدفعه إلى مزيد من العطاء »(١٧) .

ولذلك فقد أصبح السباق الحقيقي بين المجتمعات سباقاً في مجال البحث العلمي ، سواء اتصل ذلك بالأرض أو بالفضاء أو بالذرة أو القمح . ولقد غدت الدول المتقدمة تخصص نسبة كبيرة من دخلها القومي لأغراض البحث العلمي ، فقد خصصت الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٦٤م نسبة مئوية ٣,٧ من جملة دخلها القومي لأغراض البحث العلمي ، بينما خصصت بريطانيا ٢,٧٪ . وتحظى هذه الدول بعائدات اقتصادية هائلة من وراء البحث العلمي ، وعلى سبيل المثال ، فلقد كان عائد الأموال التي خصصت ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، على أبحاث الذرة الهجنية ٧٠٠٪ .(١٨) فما ينفق على البحث العلمي من مال إنما هو من قبيل الاستثمار الجيد .

ولذلك فإننا نحتاج في عالمنا الإسلامي إلى ثورة تربوية لاستخدام المبتكرات والتجديدات ونتائج التطور العلمي ، لتكون في خدمة المشكلات التربوية المتمثلة في زيادة أعداد المقبلين على التعليم .

أزمة التربية المعاصرة ومشاكلها :

يرى كثير من المفكرين أن التربية المعاصرة تعيش أزمة تفوق في حدتها أزمة الطعام أو الطاقة ، والأزمات السياسية والعسكرية ، وإن بدت في مظهرها أقل خطراً وجذباً للانتباه(١٩) ، وذلك على الرغم من التوسع الكبير في التعليم في مختلف دول العالم ، وعلى الرغم من تطور طرق التدريس ، وتكديس المؤلفات والأبحاث التي تعالج قضايا التربية . وأزمة التعليم ، وإن اختلفت في شكلها وحدتها من مجتمع إلى آخر ، تظهر آثارها على كل الشعوب .

وأزمة التعليم المعاصر تختلف في شكلها وحدتها من دولة إلى أخرى ، إلا أن آثارها تنعكس بوضوح على كل الشعوب ، مهما تباينت ظروفها من فقر أو غنى ، ومن عراقة أو حداثة ، ومهما كانت تلك الشعوب تتمتع بنظم تعليمية ثابتة أو تكافح من أجل تأسيس نظمها التعليمية كفاحاً قد يضطرها ، أحياناً ، إلى أن تتحمل ما لا قِبل لها به ، أو أن تقتطع من لقمة العيش التي تقيم أود أبنائها(٢٠) .
ولكن فيم تبدو هذه الأزمة ؟

يرى بعض المفكرين أن هذه الأزمة ، تتمثل في تزايد عدد الأميين البالغين في العالم نتيجة للانفجار السكاني ، أو نتيجة للعجز المالي عن مسايرة التوسع في التعليم نمو السكان . وتتمثل هذه المشكلة ، في نظر البعض ، في انخفاض مستوى التعليم ، ومستوى خريجيه ، ولكن هذه الأزمة تتمثل في حقيقة الأمر في إهمال الجانب الخلقي والروحي والديني من التربية ، وكما يرى البعض ، فإن هذه الأزمة « تنعكس بوضوح أكثر في الزيادة المضطرة لنوازع الشر في الإنسان المتعلم ، وميله إلى العنف ، وفي فساد مجتمعاته وخلوها من الثقافة ، وفي تحلله الأخلاقي ، وفشله في حمل رسالته في هذه الحياة كإنسان ، وهذه سمات أصبحت تميز عصرنا بصفة عامة ، وتميز الإنسان المتعلم والمجتمعات التي تدعي أنها متحضرة بصفة خاصة(٢١) .

والحقيقة أن هذا التحلل الأخلاقي ليس إلا نتيجة لفشل التربية ، ذلك الفشل الذي يتأتى من إهمالها للقيم الإسلامية الأصلية . ولا شك أنه من جراء هذا الفشل التربوي انتشار الأمراض والعقد والأزمات النفسية بين الشباب ، وكذلك ليست حالات الحيرة والكبت والضياع والأنانية والعنف إلا مظهراً من مظاهر هذا الفشل . وليست الجماعات الشاذة المنتشرة في أوروبا كالخنافس ، والهيبز ، وجماعات إدمان الخمور والمخدرات ، وتسيب المرأة إلا مظهراً من مظاهر هذا الفشل الناجم بدوره عن الابتعاد عن التعاليم الدينية والتمسك بها .

وكان من نتائج فشل المؤسسات التربوية أن أصبح الحصول على المؤهل هو الغاية القصوى لدى الشباب . وإذا فسدت التربية فقد فسدت كافة مجالات الحياة الأخرى كالتجارة والزراعة والصناعة وغيرها ، لأن التربية هي التي تمد هذه المؤسسات بالعناصر البشرية الصالحة أو الفاسدة . وكان من جراء الابتعاد عن قيم الدين وتعاليمه أن انتشرت الأنانية ، والنفعية ، والتسيب ، والتعدي على حقوق الغير ، والوصولية ، والانتهازية ، والمناورات اللاخلاقية ، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة . ومرد ذلك كله خلو التعليم المعاصر ، في البلدان الأوروبية ، من التربية الروحية ، واقتصاره على الاهتمام بالقدرات المادية ، الأمر الذي أخرج الإنسان عن الفطرة الإنسانية السليمة المتزنة بين المادة والروح(٢٢) . وبذلك يصبح الإنسان ، بهذه الحالة ، خطراً على نفسه وعلى الحياة كلها ، وليس أدل على ذلك من تكدس مخزون الأسلحة الذرية والهيدروجينية والنتروجينية والكيميائية والجرثومية(٢٣) . ومن سباق الإنسان « المتعلم » في معركة الموت والدمار . وغير ذلك من وسائل الدمار ، التي تكفي لتدمير كافة المنجزات الحضارية على هذا الكوكب . ويكفي أن نتأمل الجرائم التي اقترفها الإنسان « المتعلم » ضد أخيه

الإنسان . فلقد سقط ٥٥ مليون قتيل في الحرب العالمية الثانية ، ويكفي أن نتأمل ما ترويه مأساة شعب فلسطين الشقيق ، والمآسي التي خلفتها قنبلة هيروشيما ونجازاكي وغير ذلك من المجازر البشرية التي نشهدها في هذه الأيام ، ومظاهر التعصب والتمييز العنصري البغيض .

وهناك من يرجع أزمة التعليم إلى فساد النظم التعليمية نفسها التي أصبحت ، في نظرهم ، نظماً تقليدية تتطلب ضرورة إعادة النظر . ويرجعها البعض إلى فقدان القدوة الحسنة في محيط التعليم الناتج من ضعف العقيدة ، وهناك من يرى أن الأزمة ، في جوهرها ، أزمة نفسية تتمثل في الفشل في الفهم الصائب للطبيعة البشرية وفطرة الإنسان . أما الأسباب الحقيقية فتكمن في فقدان التربية للقيم الخلقية وبعد المجتمعات المعاصرة عن الدين⁽٢٤⁾ الذي هو خير عاصم من الزلل ■

● الهوامش ●

(١) د . عبد العزيز عبد الله الجلال ، تربية اليسر وتخلف التنمية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤٠٥هـ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق (ص ١٥) .
(٥) د . عبد العزيز عبد الله الجلال ، تربية اليسر وتخلف التنمية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤٠٥هـ .
(٦) عبد الوهاب أحمد عبد الواسع ، التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره واستشراق مستقبله ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٤٠٣هـ ـ ص ٢١ .
(٧) المرجع السابق (ص ٢٥) .
(٨) المرجع السابق (ص ٣١) .
(٩) صالح عبد العزيز ، عبد العزيز عبد المجيد ، التربية وطرق التدريس ، الجزء الأول ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الخامسة عشر ، ١٩٨٢م (ص ٦٤) .
(١٠) المرجع السابق (ص ٨٠) .
(١١) صالح عبد العزيز ص ٨٣ .
(١٢) صالح عبد العزيز ص ٨٣ .
(١٣) صالح عبد العزيز ص ١٩٢ .
(١٤) المرجع السابق ص ٢١٨ .
(١٥) صالح عبد العزيز ص ٢٨٤ .
(١٦) صالح عبد العزيز جـ ٢ ـ ص ٢١١ .
(١٧) د . عبد الله عبد الدائم ، التربية التجريبية والبحث التربوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م . ص ٥ .
(١٨) المرجع السابق ص ٦ .
(١٩) د . زغلول راغب محمد النجار ، أزمة التعليم المعاصر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٠هـ ص ٩ .
(٢٠) المرجع السابق ص ٩ .
(٢١) المرجع السابق ص ١٠ .
(٢٢) المرجع السابق ص ١١ .
(٢٣) المرجع السابق ص ١١ .
(٢٤) المرجع السابق ص ١٧ .